

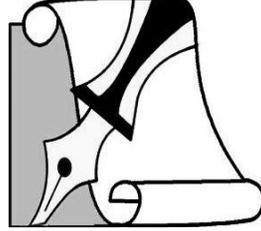


مركز البحوث الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نمف الشهرى

تحليل للتطورات السياسية
والأمنية فى «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com



**مركز للدراسات
الغلسطينية والاسطراتجية**

تحليل نصف شهري للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

- 1 – إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمم.
- 2 – الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.
- 3 – بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.
- 4 – إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

البروفيل النفسي الهابط في جيش العدو

1 - مدخل:

لقد بينت دراسات قام بها قسم الشؤون النفسية في جيش العدو الاسرائيلي بأن نقص عديد القوات، وافتقاد الروح المعنوية، والتقليل من شأن الجنود وامتهانهم من قبل رؤسائهم، ولا مبالاة القيادات العسكرية بمعاناتهم وشكاويهم، وكراهية الالتحاق بسلاح البر خاصة المدرعات، والفتاوى الحاخامية التمييزية بين جندي وآخر؛ كلها ليست سوى بعض الأسباب التي تدفع الشباب الإسرائيلي إلى رفض الخدمة في جيش الاحتلال والتعرض لكثير من العنت والإرباك في هذه الخدمة. وكشفت أبحاث عدة أجريت منذ انتهاء الحرب على لبنان عام 2006 ثم حرب غزة عام 2014 وأثيرت من جديد، أن عدداً كبيراً من الذين شاركوا في المعارك داخل لبنان تعرضوا خلال ذلك لصدمات نفسية قاسية. وفي تقارير طبية قدمت للجيش تبين أن بعضهم تعرض لصدمة نفسية مرضية في أثناء مواجهات وقعت مع مقاتلي حزب الله وهناك من تعرض لصدمات خطيرة أيضاً نتيجة مقتل زملاء له أمام عينيه واضطراره لجرهم مسافات طويلة والانتظار إلى حين وصول قوة من الجيش لنقل جثثهم. ولا تخلو التقارير أيضاً من حالات عديدة لجنود شاركوا في عمليات عسكرية في الضفة وغزة بخاصة بين عناصر وحدة المستعربين.

وتم الكشف عن وجود نسبة عالية من الحالات النفسية في دعاوى رفعت في المحاكم الاسرائيلية للمطالبة بتعويض عطل وضرر من الجيش. لكن الجانب الآخر من هذه التقارير، وهو الذي يشكل إرباكاً للقيادة، يعرضه الجنود بهدف استغلاله للتهرب من الخدمة العسكرية، وتبين أن عدداً كبيراً منهم يستغلون تقارير حول وضعهم النفسي للتهرب من الخدمة وهو أمر رفع نسبة التهرب إلى خمسين في المئة، بحيث برزت توقعات داخل القيادة العسكرية بأن تتفاقم هذه الظاهرة لتصبح الأكثر أهمية مما جعلها تنتقل إلى الكنيست حيث بحثتها لجنة الخارجية والأمن ووضعت خطة لمواجهة تشمل سن قوانين مشددة، كما أن الجيش أعد برنامجاً خاصاً بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم لطلاب المدارس الثانوية الذين سيتم تجنيدهم بعد تخرجهم، بهدف تشجيعهم على التجند للوحدات القتالية وإجراء تدريبات.

وفي السياق نفسه يسعى الجيش الصهيوني بشكل متواصل وحثيث، على مدى العقدين الماضيين بشكل خاص، إلى إبعاد الخوف والإحباط الذي بات يمتلك نفوس جنوده من جراء أحاسيس الخطر والرهبة والإحباط من المقاومة في لبنان وفلسطين باتّباع أساليب نفسية وتدريبات خاصة للعسكريين والسكان المدنيين، وذلك في مسعى لتعزيز الروح المعنوية الهابطة ومحاولة التقليل من مكانة وأهمية المقاتل العربي. وفي هذا الإطار تقوم قيادات الجيش والحكومة، ما بين الفينة والأخرى، بزيارات شخصية للمواقع العسكرية ومواقع التدريبات، التي تنفذ في مناطق مختلفة، للغاية نفسها. وفي هذا السياق كان قسم الصحة النفسية التابع للجيش الصهيوني قد كشف عن عشرات الحالات لجنود صهاينة ممن شاركوا في الاعتداءات المتكررة على لبنان وقطاع غزة، شخّصت على أنها "اضطرابات نفسية ناجمة عن صدمة الحرب"، وتدرج ضمن "اضطرابات الخوف" وفقا للدليل التشخيصي والإحصائي العالمي للاضطرابات النفسية. ويقول المتحدث باسم قسم الصحة النفسية لدى الجيش الصهيوني إن قسما من هؤلاء الجنود سرّح بشكل نهائي من الخدمة العسكرية، نتيجة رهاب الحرب الذي يتملكه. ووفقا لصحيفة هآرتس الصهيونية فإن المئات من الجنود الصهاينة الذين ظهرت عليهم علامات "الصدمة" تركوا ساحات القتال لكي يتلقوا العلاج بمعدل 8 ساعات علاج لكل حالة. ووفقا لما قاله رئيس وحدة الصحة العقلية في الجيش الاسرائيلي أمام اللجنة الفرعية المعنية بالصحة النفسية في الكنيست الاسرائيلي، فإن عدد الجنود الاسرائيليين الذين يتلقون العلاج النفسي قد تضاعف ثلاث مرات في السنوات العشر الأخيرة، من دون ذكر العدد، مشيرا إلى أن العديد من الحالات التي يتم علاجها توصف بالصعبة، وأن من يتلقون العلاج النفسي من الجنود ينتمون إلى كافة قطاعات الجيش بمن فيهم طيارون. وأضاف أن العديد من الجنود يلتحقون بالجيش من دون معرفة تاريخ وضعهم النفسي وما مرّوا به في الماضي، وفي بعض الحالات فإن الأطباء الخاصين الذين عالجهم قبل التحاقهم بالخدمة يوضحون طبيعة مشاكلهم للجيش، وهذا ما يسهل التعامل معهم وتقديم العلاج النفسي لهم، مضيفا أن العديد من الحالات يتم اكتشافها أثناء الخدمة. وقد تم تداول العديد من الأفكار في اجتماع أعضاء الكنيست في اللجنة الفرعية من ضمنها الخطورة الكبيرة الناجمة عن السماح للجنود بإبقاء السلاح معهم في البيت، خوفا من استخدام هذا السلاح من قبل البعض منهم في الانتحار أو في ارتكاب جرائم قتل. وعلم أن الشبان المرشحين للخدمة العسكرية يتجنبون طلب المساعدة عندما يتعلق الأمر بمعاناتهم من

أمراض نفسية وهذا يخلق أزمة للجيش، لأنه لا يمكن للسلطة العسكرية تحديد الاضطرابات النفسية والعقلية لهؤلاء الجنود. وكشفت صحيفة هآرتس العبرية عن قيام الجيش الاسرائيلي بتجنيد اختصاصيين نفسيين للعمل في صفوفه، بعد تزايد الأمراض النفسية وظاهرة الانتحار بين الجنود الاسرائيليين. وكشفت صحيفة يديعوت أحرونوت عن رفض 86 مجنّدًا إسرائيليًا الخدمة في سلاح المدرعات، مفضلين دخول السجن، عقوبة على رفض الأوامر، بدلا من الخدمة على دبابة. ووُكِدَ بعض الجنود افتقاد الروح المعنوية بشكل عام، وخصوصا في قطاع غزة، وهو ما يرجع إلى كثافة العمليات في هذه المنطقة مقارنة بعدد القوات المتاحة، حتى أن الجنود المقاتلين يغلبهم النعاس أثناء الدوريات، في ظل لامبالاة القادة وتجاهل الضباط. هذه المشاعر نقلتها أمهات الجنود لصحيفة يديعوت أحرونوت، فيما أكدت مصادر داخل الوحدة العسكرية أن المقاتلين يعانون من الاستخفاف بشأنهم، إضافة إلى شعورهم بالإحباط. يتكرر هذا المشهد منذ فترة طويلة، فعلى مدى العقد الفائت كان التمرد الداخلي بمثابة سوس ينخر في قواعد جيش الاحتلال، طال حتى النخبة داخل الجيش ووصل لصفوف لواء (غولاني)، فخر الصناعة العسكرية الإسرائيلية. وقبل عشر سنوات تقريبا، حدثت أزمة تمرد كان محركها فتوى من حاخامات اليهود داخل دولة الاحتلال، تقول بأنه "لا يحل" للجندي اليهودي أن يُخرج "أخاه المستعمر" من البيت الذي انتزعه من الفلسطينيين، وإن فعل فهو بذلك يخالف ما جاء في "التوراة"، ويستوجب "غضب الرب". و"تنفيذاً لأوامر الرب في التوراة"؛ تمرد حوالي ثلاثين جندياً، معظمهم متدينون من فوج كفير على قيادتهم، رافضين إجلاء أسرتهن من المستوطنين، بزعم أن التوراة تمنحهم الحق في إقامة دولة على أراضٍ بالضفة الغربية المحتلة. وتم التحذير من أن هذا التمرد "يهدد الجيش الإسرائيلي، ويعرض وجود إسرائيل للخطر".

وحذر رئيس الأركان الإسرائيلي الأسبق غابي أشكنازي من تعاظم ظاهرة التهرب من الخدمة العسكرية، وأكد أن استمرارها سيقود إلى وضع لا يغدو فيه سوى قلة تلتحق بالجيش. ومنذ العام 2010، قالت صحيفة هآرتس أن رُبع الإسرائيليين سيتهربون من التجنيد بحلول عام 2019، فيما حذرت إحصائيات قسم القوى البشرية التابع للجيش الإسرائيلي لعام 2019 من أن 12,600 من الشباب في سن التجنيد يتجهون للتدين أو لطرق أخرى للتهرب من التجنيد. ففي سن الثامنة عشرة، يجب على جميع الرجال والنساء الإسرائيليين تسجيل أنفسهم للانضمام إلى الجيش لمدة سنتين أو ثلاث على التوالي، إلا إذا أعلنوا أنه لا

يمكنهم الانخراط في صفوف القوات المسلحة لأسباب دينية. وأقرّ المتحدث بلسان الجيش الإسرائيلي بأن ربع المجندين الإسرائيليين على الأقل يتوجهون إلى ضابط الصحة النفسية. وأفاد بأنه يتم تحرير 12% من المجندين من الخدمة العسكرية، خلال السنة الأولى لتجندهم، 60% منهم يتم تحريرهم بسبب مشاكل نفسية. ومن بين مجمل الذين يسري عليهم قانون الخدمة العسكرية الاجبارية، يتهرب 23% من الرجال و 40% من النساء من الخدمة في الجيش لأسباب نفسية ومعنوية. وكان رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي الأسبق، اللواء غابي اشكنازي، قد قال أنه يتم تحرير نحو 9% من المجندين الرجال بعد أن يعلنوا أنهم متديتون ويرغبون التوجه لدراسة التوراة في معهد ديني يهودي (يشيفا). كذلك هناك 4% لا يتم تجنيدهم بسبب ماضيهم الجنائي و 6% لأسباب صحية. أما بالنسبة للنساء، فقال اشكنازي أنه يتم تحريرهن من الخدمة العسكرية بعد أن يعلن بأنهن متدينات أو أن الخدمة العسكرية المطروحة عليهن لا تضع أمامهن أي تحدّ.

2 - ظاهرة الانتحار :

تشكل ظاهرة الانتحار في الجيش الإسرائيلي موضوعاً مهماً وحساساً في إسرائيل، التي حاولت قيادة الجيش فيها في البداية إبقاءه طي الكتمان، وعدم الإعلان عنه رسمياً، لكن مع تفاقم الظاهرة؛ اضطرت القيادة لإجراء نقاش علني للمسألة، والبحث عن وسائل فعالة لمعالجتها. وبحسب معطيات الجيش فقد بلغ عدد الجنود المنتحرين خلال السنوات العشر الأخيرة 237 جندياً، مما يجعل عدد الجنود الذين يقضون انتحاراً أكبر من عدد الذين يقتلون في المعارك. وبحسب تقارير رسمية إسرائيلية فإن غالبية المنتحرين من الجنود ليسوا ممن يشكون أمراضاً نفسية سابقة، ولا من الذين أظهروا عوارض تنبئ بأنهم قد يقدمون على وضع حد لحياتهم، وأن غالبية الحالات تعود إلى جنود من المهاجرين الجدد الذين لم يستطيعوا التأقلم مع الظروف الصعبة للخدمة العسكرية، كما أن وجود سلاح بين أيديهم يسهل عليهم تنفيذ الانتحار. والمعطى الإضافي الذي يقلق المسؤولين الإسرائيليين فيما يتعلق بظاهرة الانتحار في الجيش هي أن عدد المنتحرين من الجنود الذين لم يتم تشخيصهم كأشخاص يعانون من اضطراب نفسي وصل ما بين العام 2008 وحتى عام 2011 إلى 45%. ويستشف من هذا المعطى أن ظروف الخدمة العسكرية وصعوبات

التكيف له بالغ الأثر في دفع الجنود إلى الانتحار، فيما أظهرت المعطيات أن 28% من الجنود المنتحرين زاروا العيادة النفسية العسكرية قبل انتحارهم .

تمكن القسم التقني بالجيش الإسرائيلي من ابتكار تطبيق لقياس اللياقة البدنية ومستوى الهدوء النفسى للجنود بالجيش الإسرائيلي، مما يقلل من الإحساس بالاضطرابات النفسية لدى الجنود . وذكرت صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية أن الهدف من التطبيق هو السماح للجنود بتحسين وضعهم الصحى ومستوى لياقتهم إضافة إلى معرفة ما اذا كانت العادات الغذائية المتبعة صحية، وضبط الضغوط الكثيرة التى يتعرضون لها خلال خدمتهم العسكرية.

وقالت الصحيفة إن سبب تطوير هذا التطبيق هو تعرض جنود الجيش لتدهور حالتهم الصحية نتيجة خدمتهم المستمرة فى الضفة الغربية ومواجهتهم الفلسطينيين المستمرة، لذا حرصت قيادة الجيش الإسرائيلي على حماية هؤلاء الجنود . ويسمح التطبيق للجنود بالاطلاع لحظة بلحظة على وضعهم الصحى، ويتوجب على الجنود بداية كل يوم تعبئة نموذج خاص، يتضمن معلومات حول وضع الجندي ونوع التدريبات التي يخضع لها والطعام الذى يتناوله وحالته النفسية "مزاجه" ما يسمح لضباط بمتابعة حالة الجنود ومعرفة أين ومتى وماذا يجب عليهم التدخل لتحسين الوضع.

ويتضمن التطبيق منظومة هامة مخصصة لقياس ردود الفعل الحيوية biofeedback التي يمكنها تعليم الجنود كيفية ضبط الضغوط التي يتعرضون لها بعد عمليات معينة أو معايشتهم لأحداث قاسية.

ووفقا لعدد من المنظمات الحقوقية والمجتمع المدني داخل إسرائيل، فإن أعداد الجنود المنتحرين داخل الجيش الإسرائيلي تعد من الأمور المسكوت عنها، ومن الصعب الحصول على أرقام ومعلومات وافية ودقيقة عن ذلك، لاسيما خلال السنوات العشر الأخيرة . وفي هذا الصدد، قالت ألونا فينوجراد، المديرة العامة لـ "حركة من أجل حرية الحصول على المعلومات"، أن الجيش الإسرائيلي رفض الوحدات التي خدم فيها الجنود المنتحرون والوظائف التي شغلوها في صفوف الجيش، ولكنه كشف معدلات الانتحار، وفقا لنمط الخدمة العسكرية التي كان يؤديها الجنود المنتحرون، وبحسب هذه المعطيات فقد انتحر خلال السنوات الأخيرة 51 جنديا من الوحدات غير القتالية فيما انتحر 37 جنديا من وحدات قتالية، بينما انتحر 22 جنديا في وحدات تساند الوحدات القتالية.

وأعلن الجيش الإسرائيلي ، أن العام 2016 شهد ارتفاعاً ملحوظاً في أعداد الجنود المنتحرين، إضافة إلى ارتفاع أعداد القتلى والمصابين من جنوده وضباطه خلال التدريبات العسكرية، وذلك مقارنة بالعامين السابقين. ونقلت صحيفة معاريف الإسرائيلية بالعبرية على الانترنت، عن بيانات أصدرها الجيش الإسرائيلي على شكل خلاصات للعام 2016، أن معظم الجنود المنتحرين كانوا من الرجال، وأنهم كانوا من السكان الأصليين لإسرائيل، وبينهم جندي واحد فقط من المهاجرين الاثيوبيين المعروفين بيهود الفلاشا. كما نقلت الصحيفة الإسرائيلية عن قائد وحدة القوى البشرية بالجيش الإسرائيلي، قوله أن "الجيش الإسرائيلي يقوم بتفعيل خطة متكاملة بالاشتراك مع وحدات الصحة النفسية، والطب، والتعليم، من أجل التخفيض من أعداد الجنود المنتحرين"، مضيفاً "يتم متابعة كل الجنود والضباط الذين يلحظ أنهم يمرون بحالات نفسية صعبة، في محاولة لمنعهم عن الإقدام على الانتحار."

ووفقاً لمعاريف الإسرائيلية، فإن الجيش الإسرائيلي ضم إليه خلال الآونة الأخيرة مجموعة كبيرة من المرشدين النفسيين والاجتماعيين في الوحدات والقيادات العسكرية الخاصة بإعداد وتأهيل الجنود والضباط، وذلك لمتابعة الجنود والضباط الذين يلحظ بأنهم يمرون بحالات نفسية صعبة، ومحاولة حلها قبل أن يقدموا على الانتحار. ومع ذلك، فإن فينوغراد، أشارت إلى أن المعلومات المتوفرة لديها تؤكد أن منذ العام 2009 وحتى عام 2011 كانت غالبية الجنود المنتحرين من لواء "المركز" في الجيش الإسرائيلي المكلف بالسيطرة على الضفة الغربية، ووصل هذا الرقم إلى أربعة عشر جندياً منتحراً، فيما انتحرت 11 جندياً من لواء "الشمال" في الجيش، بينما انتحرت سبعة من لواء "الجنوب" و انتحرت ثلاثة جنود من الجبهة الداخلية، ومن سلاح البر ثمانية، ومن سلاح الطيران سبعة، وأربعة جنود سلاح البحرية وخمسة من الذراع التكنولوجي في الجيش، وأربعة من الاستخبارات وثلاثة من إدارة الموارد البشرية واثنان من شعبة التنصت.

وتشكل ظاهرة الانتحار في الجيش الإسرائيلي موضوعاً مهماً وحساساً في إسرائيل، التي حاولت قيادة الجيش في البداية إبقاءه طي الكتمان، وعدم الإعلان عنه رسمياً، لكن مع تفاقم الظاهرة؛ اضطرت القيادة لإجراء نقاش علني للمسألة، والبحث عن وسائل فعالة لمعالجتها. وبحسب الجيش الإسرائيلي، فقد بلغ عدد

الجنود المنتحرين خلال السنوات العشر الأخيرة 237 جندياً، مما يجعل عدد الجنود الذين يقضون انتحاراً أكبر من عدد الذين يقتلون في المعارك.

وبحسب تقارير رسمية إسرائيلية فإن غالبية المنتحرين من الجنود ليسوا ممن يشكون أمراضاً نفسية أو عقلية سابقة، ولا من الذين أظهروا عوارض تنبئ بأنهم قد يقدمون على وضع حد لحياتهم، وأن غالبية الحالات تعود إلى جنود من المهاجرين الجدد الذين لم يستطيعوا التأقلم مع الظروف الصعبة للخدمة العسكرية، كما أن وجود السلاح بين أيديهم يسهل عليهم تنفيذ فعلتهم.

والمعطى الإضافي الذي يقلق القادة العسكريين الإسرائيليين بشكل خاص، فيما يتعلق بظاهرة الانتحار في الجيش، هو أن عدد المنتحرين من الجنود الذين لم يتم تشخيصهم كأشخاص يعانون من اضطرابات نفسية وصل ما بين العام 2008 وحتى عام 2011 إلى 45%.

ويستشف من هذا المعطى أن ظروف الخدمة العسكرية وصعوبات التكيف معها، له بالغ الأثر في دفع الجنود إلى الانتحار، فيما أظهرت المعطيات أن 28% من الجنود المنتحرين زاروا العيادة النفسية العسكرية قبل انتحارهم.

في السياق كشفت صحيفة "هآرتس" العبرية عن تقارير صحية تؤكد أن عدد جنود "الجيش الإسرائيلي" الذين يعانون من أمراض نفسية تضاعف كثيراً منذ عام 2013 إلى الآن. ووفقاً لـ "هآرتس" فإن رئيسة قسم العلاج النفسي في سلاح الجو الإسرائيلي "ليئا شلاف" حذرت من الزيادة الكبيرة لعدد "الجنود الإسرائيليين" المرضى نفسياً، مشيرة إلى أن هذه الزيادة قد تسبب تراجعاً في أداء المعالجين النفسيين.

وعن أسباب هذا الارتفاع في نسبة المرضى النفسيين لدى جيش الاحتلال أكدت "شلاف" أنها مرتبطة بالوضع الاقتصادي-الاجتماعي الأمني الصعب في فلسطين المحتلة، لافتة إلى تراجع الدافعية للخدمة العسكرية، وتعاظم الرغبة في كسب المال واستغلال الوقت للاحتياجات الشخصية للجنود، مؤكدة أن بعض الجنود قد يلجؤون إلى ممارسة العنف ضد المعالجين النفسيين نتيجة تراجع حالاتهم.

ونقلت الصحيفة العبرية عن بعض المسؤولين العسكريين أن بعض الجنود يتحججون بالمقابلة مع الأخصائيين النفسيين للاختصار من مدة الخدمة الإلزامية، بالرغم من أن بعض قادة جيش الاحتلال أكدوا أن هناك جنودا حالاتهم مستعصية ويجب تحويلهم لجلسات العلاج بأقصى سرعة.

وبحسب مصادر "هآرتس" فإن معظم الجنود الذين يعانون من مشاكل نفسية يخدمون في سلاح البر، وهو الذي يضم معظم الوحدات الخاصة والألوية ذات القدرات القتالية الميدانية. كما بينت المعطيات أن واحداً من كل ستة جنود، وواحدة من بين كل 15 مجندة، لم يكملوا فترة خدمتهم العسكرية، بسبب طلبهم التسريح المبكر لأسباب تتعلق بمشاكل نفسية. وأضافت أن عدد الجنود الإسرائيليين في الخدمة النظامية الذين أجريت لهم جلسات مع المعالجين النفسيين في الجيش قد ارتفع بنسبة 40 بالمائة خلال السنوات العشر الأخيرة. وبحسب تقرير نشرته مجلة عسكرية اقتبست "هآرتس" منه، فقد أجري العام 2017 مثلاً 47 ألف لقاء بين الجنود وضباط الخدمة النفسية في الجيش، بزيادة قدرها 2500 لقاء عن التي أجريت خلال عام 2013. وحذرت رئيسة قسم العلاج النفسي في سلاح الجو الإسرائيلي، ليئا شلاف، من أن "التغيير الكبير" أي زيادة أعداد الجنود المعالجين (منذ عام 2010 قد يؤدي إلى تراجع أداء المعالجين النفسيين".

وذكرت "شلاف" في التقرير، أن "الزيادة هذه تعتبر متطرفة جداً". وأضافت أن هذا "الضغط على المعالجين النفسيين سينعكس بشكل سلبي على أدائهم، وقدرتهم في التخفيف من أثر المشاكل النفسية التي يواجهها الجنود، ما قد ينعكس على تصاعد العنف الذي قد يمارسه الجنود ضد معالجيهم".

وبحسب "هآرتس"، يقول مسؤولون عسكريون في الجيش الإسرائيلي إن من الأسباب الأخرى التي دفعت الجنود إلى طلب المساعدة النفسية بزيادة كبيرة، هو تكليفهم بمهام في ألوية ووحدات قتالية. وأضافوا أن الجيش يسعى إلى تقصير المدة بين طلب الحصول على مقابلة مع المعالجين النفسيين، وإجراء المقابلة وتتراوح فترة الانتظار حالياً بين ساعات إلى أيام، لكن الجيش أوصى القادة بتحويل الجنود الذي يكونون في ضائقة نفسية للعلاج بشكل عاجل، وعدم انتظار تدهور وضعهم بشكل حاد، وذلك لمنع عمليات الانتحار في صفوفهم. وبحسب معطيات تتعلق بعام 2018، قدمها الجيش بناء على قانون حق الحصول على المعلومات، تقول "هآرتس" إن معظم الذين يطلبون العلاج النفسي هم جنود يخدمون في سلاح البر، وهو الذي يضم معظم الوحدات الخاصة والألوية ذات القدرات القتالية. كما بينت المعطيات أن واحداً من

كل ستة جنود، وواحدة من بين كل 15 مجندة، لم يكملوا فترة خدمتهم العسكرية، بسبب طلبهم التسريح المبكر من الجيش لأسباب تتعلق بمشاكل نفسية. ونقلت هآرتس عن متحدت باسم الجيش الإسرائيلي قوله إن "نظام العلاج النفسي في الجيش يعمل بشكل عادي وطارئ للمحافظة على سلامة الجنود، وزاد عدد المعالجين النفسيين كما زاد من الإرشادات المقدمة للقادة لمساعدة الجنود الذين يواجهون ظروفًا صعبة." من ناحية أخرى تنشر وسائل الإعلام العبرية باستمرار تقارير تخصصية تؤكد قلق "الجيش الإسرائيلي" من حرب محتملة مع المقاومة شمالي فلسطين المحتلة، ويشيرون من خلالها إلى عدم جاهزيتهم لهذه المعركة.

3 - تقارير وشواهد:

كشف تقرير لمفوضية شكاوي الجنود في الجيش الإسرائيلي أن الجنود أُجبروا قبل الدخول إلى قطاع غزة خلال الحرب التي شنتها إسرائيل صيف العام 2014، بكتابة رسائل وداع لعائلاتهم. وقالت صحيفة (يديعوت أحرونوت) العبرية، التي أوردت النبأ، إن تقرير المفوضية الذي نشر وجّه انتقادات شديدة لطلب الضباط من الجنود كتابة رسائل وداع لذويهم قبل الدخول إلى قطاع غزة خلال العملية العسكرية الإسرائيلية التي أُطلق عليها في حينه اسم عملية (الجرف الصامد). وبحسب الصحيفة العبرية، جاء في التقرير المذكور أن هذا الطلب يمسّ بمعنويات الجنود قبل دخولهم إلى ما أسماه المجهول. وتابع التقرير قائلاً "قبل لحظات من دخولهم إلى المجهول، وحينما يرتفع مستوى الأدرينالين في دمهم، يتطلب من الجنود أن يجلسوا ويتخيلوا موتهم وبكاء عائلتهم ورفاقهم عليهم، والألم والعائلة التي ستتهار"، على حدّ تعبيره.

وأشار التقرير إلى أنه خلال العام 2014 قدمت 6711 شكوى ضدّ ضباط في الجيش الإسرائيلي، وتبين أن 61 بالمائة منها مبررة. وأوضح أن معظم الشكاوي متعلقة بتعامل الضباط مع الجنود الذين تحت إمرتهم، ويكشف أيضاً أن السنة التالية شهدت ارتفاعاً كبيراً في شكاوي الملتحقين الجدد بالجيش على صلة بما سلف. وقال تقرير إسرائيلي آخر إن أكثر من 350 جندياً توجهوا إلى خدمات الصحة النفسية في الجيش منذ انتهاء تلك الحرب. وقد جاء ذلك في تقرير نشرته صحيفة (إسرائيل اليوم) (المقرّبة من رئيس الوزراء

بنيامين نتنياهو، حيث ذكر أن عددا من الجنود الذين لجأوا إلى قسم خدمات الصحة النفسية وصلوا فعلاً إلى الحالة المسماة الصدمة الكلية، ومن أعراضها الاضطراب النفسي والكوابيس وتراجع الأداء بشكل كبير. ووفقاً للتقرير، فإنّ المئات من الجنود احتاجوا المساعدة النفسية خلال الحرب بعد أن عانوا من توتر شديد نتيجة القتال، حيث وصلوا إلى طاقم العلاج في قاعدة (راعيم) (العسكرية، وبشكلٍ عام كانوا يقضون ثماني ساعات في القاعدة، وتمت إعادة 80 بالمائة منهم إلى القتال حيث لم يكونوا يحتاجون لعلاج إضافي. ونقلت الصحيفة عن مسؤول كبير لم تُفصح عن اسمه، والذي يعمل في قسم خدمات الصحة النفسية العسكرية قوله إنّه مع المقارنة بحروب أخرى لوحظ ارتفاع في عدد الجنود الذين توجهوا إلى القسم خلال عملية (الجرف الصامد). (ويُفسّر مسؤولون في الجيش هذا الارتفاع في ذلك الوقت مقارنة مع الماضي بأنّ الجنود شاهدوا أحداثاً قاسية، سواء الذين وصلوا إلى المستشفيات بعد الإصابة أو الذين تلقوا المساعدة النفسية خلال الحرب. وكان الجيش الإسرائيلي قد أطلق حملة لمعالجة الأضرار النفسية التي يعاني منها عناصره جراء الحرب على غزة.

وذكرت القناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي أنّ العشرات من الجنود خضعوا لعلاج نفسي، وأنّ الجيش بدأ حملة سماها (الحارس الصامد) (للبحث عن المرضى النفسيين في صفوف قواته. وأشارت القناة إلى أنّ بعض الجنود الذين شاركوا في المعارك بشكل مباشر في غزة يخضعون للعلاج في أقسام خاصة أعدت لذلك بإشراف أطباء يلقون محاضرات نفسية ويعقدون لقاءات مع الجنود. وكانت إسرائيل قد شنت في السابع من شهر تموز من العام 2014 عدواناً على غزة استمرّ 51 يوماً، أدى إلى استشهاد أكثر من ألفي فلسطيني، وإصابة نحو 11 ألفاً آخرين بحسب مصادر طبية فلسطينية، فضلاً عن تدمير نحو تسعة آلاف منزل بشكل كامل، وثمانية آلاف منزل بشكل جزئي.

وكانت الخسائر الإسرائيلية هي الأعلى في حروبها على غزة، حيث أفادت بيانات رسمية إسرائيلية بمقتل 68 عسكرياً وأربعة مدنيين، إضافة إلى عامل أجنبي واحد، وإصابة أكثر من ألفين وخمسمائة إسرائيلي، بينهم 740 عسكرياً، قبل أن ينتهي العدوان بالتوصل إلى هدنة طويلة الأمد بعد مفاوضات القاهرة.

في السياق ذاته، ذكرت صحيفة (معاريف) الإسرائيلية أنّ الشرطة العسكرية حققت في انتحار ثلاثة جنود من لواء "غفعاتي" "أحد ألوية النخبة على خلفية مشاكل نفسية لها علاقة على ما يبدو باشتراكهم في العدوان

البري على قطاع غزة. وقالت الصحيفة على موقعها الإلكتروني إن الشرطة العسكرية الإسرائيلية تحقق في ثلاث عمليات انتحار بطلقات نار أطلقت من سلاحهم الشخصي، اثنتان منها في موقعين للواء "غفعاتي" على حدود غزة، وواحدة وسط إسرائيل. وأوضحت أن التحقيقات تأخذ بعين الاعتبار فرضية الآثار النفسية للحرب الإسرائيلية على غزة واشتراك الجنود الثلاثة في العملية البرية التي أدت إلى مقتل العشرات من المشاركين في التوغل البري بالقطاع. ونقلت الصحيفة عن مصدر مسؤول في قطاع الصحة النفسية في الجيش لم تسمه قوله إن العام 2014 شهد انتحار ثمانية جنود.

وتبين من الشكاوى المقدمة لأمين المظالم في الجيش حول المعنويات المنخفضة وسوء الرعاية الطبية أن هذه المظاهر باتت تشكل مشكلة آخذة بالازدياد، والجيش الإسرائيلي مدرك لها. ومن محادثات أجراها مع ضباط وضباط صف، قال بريك إنه توصل إلى وجود نقص حاد في الحوافز بين الضباط الشباب، في ضوء الأجور المنخفضة والفترات الطويلة التي يبغون فيها بعيد من الأسرة - في الوقت الذي يكون الكثيرون منهم متزوجين حديثاً وفي صدد إنجاب أطفال - وانعدام الأمن الوظيفي الناجم عن العدد المحدود من الوظائف المتاحة في إطار خطة "غيدعون".

وبالإضافة إلى الشعور بـ "الإحباط" والمعنويات المنخفضة في صفوف الضباط الشباب، وجد بريك أيضاً أن "الجيش الأصغر سناً" يفتقد للخبرة. وفي الوقت الذي يتم فيه تسريح ضباط الصف من الجيش، يحل محلهم في البعض من هذه المناصب جنود أصغر يؤدون خدمتهم لإلزامية. وقال بريك إن "جنود الخدمة الإلزامية في رتبة رقيب مهما كانوا جيدين، فهم ليسوا بديلاً عن الأقدمية والخبرة." ووجد أمين المظالم عدة أمثلة لوحدات تركزت من دون الضباط وضباط الصف الضروريين لها، مثل تلك المسؤولة عن صيانة الذخيرة ومعدات الإتصال. وفي رد على تقرير بريك، قال الجيش أنه يعمل على معالجة بعض مخاوف ضباط الصف والضباط الشباب، وبالتحديد شكاويهم بشأن الأجر المنخفض. وجاء في بيان الجيش "في إطار خطة غيدعون والرغبة في الإبقاء على الأشخاص المناسبين وذوي الجودة العالية في الخدمة الدائمة، وقع الجيش الإسرائيلي ووزارة الدفاع على اتفاق مع وزارة المالية لتحسين أجور جنود الخدمة الدائمة الجدد." فعلى سبيل المثال، قرر الجيش زيادة أجور جنود الصف من 5,500 شيكل (1,500 دولار) إلى 7,500 شيكل (2,000 دولار)، وفقاً للجيش. ووفقاً لبريك، هناك أيضاً ثغرات كبيرة في عدد الأطباء

والعاملين في مجال الصحة النفسية، والجيش بحاجة أيضا إلى ممرضين ومسعفين. والتقرير الذي أصدره مراقب الدولة يوسف شابيرا خرج بإستنتاجات مماثلة حول الثغرات الكبيرة في شبكة الرعاية الصحية في الجيش، بما في ذلك برامجه النفسية. وكتب بريك في تقريره "على سبيل المثال، طبيب واحد مطالب بمعالجة نحو 1,200 جندي، في التدريب القتالي؛ ضابط في الصحة النفسية في إحدى القواعد كان مسؤولا عن 2,300 جنديا."

وفي ما يتعلق بنقص ضباط الصحة النفسية، تجدر الإشارة إلى أن معظم الجنود الذين لقوا حتفهم في الجيش الإسرائيلي في عام 2016 أقدموا على الانتحار. ورد الجيش الإسرائيلي على تقرير أمين المظالم بالقول إنه على علم بالمشكلة وإنه يعمل على وضع خطة لمعالجة المسألة، وتحديدًا لتقليل وقت الانتظار للجنود لرؤية الطبيب من خلال زيادة عدد الأشخاص في مراكز الإتصال بنسبة 110 بالمئة. وفيما يتعلق بقضايا الرعاية الصحية النفسية، قال الجيش إنه يلبي المعايير المطلوبة منه. وقال في بيان له إن "وقت الانتظار لرؤية ضابط صحة نفسية في وحدة تدريب لا يتعدى الأسبوعين، وفي بعض الحالات المعينة، يتم جلب ضابط صحة نفسية إضافي". "ومن بين الشكاوى التي تم تقديمها لأمين المظالم، نحو 40% منها تتعلق بسوء معاملة جندي من قبل الضابط المسؤول عنه، بما في ذلك حالات العنصرية والتحيز الجنسي وكره المثلية، وكذلك سوء معاملة بشكل عام. وأحد الأمثلة الأكثر دراماتيكية التي قدمها بريك تتحدث عن ضابط رفض توجه جندي لضابط الصحة النفسية، عندما هدد الجندي بجرح نفسه بالسكين، رد عليه الضابط "إذا كنت رجلا، افعها، افعها". وأشار بريك إلى أن الضابط عوقب لسوء معاملته للجندي.

في حالة أخرى، قام قادة دورة تدريبية بـ "كشف أمر" جندي في الوحدة، بعد أن أبلغوا بقية الجنود في الوحدة بأنه مثلي من خلال عرض فيديو لرجلين يقبلان بعضهما البعض مع "التلميح الواضح لميوله الجنسية" كما كتب بريك الذي أضاف في تقريره "تم فعل ذلك من دون إذن الجندي أو علمه. والأسوأ من ذلك، تم عرضه على كل جندي في الفصيلة بسبب ذلك، شعر الجندي بالعار والخجل."

وقال الجيش الإسرائيلي تعليقا على التقرير إنه يُتوقع من كل ضابط التصرف بمهنية تجاه جنوده، وبأنه يتم "التحقيق وفحص ومعالجة) كل حادث (بأقصى درجة من الجدية". "في بيان له، قال الجيش إن رئيس هيئة

الأركان غادي آيزنكوت قام بتعيين نائبه آفي كوخافي لمعالجة المشاكل التي تحدث عنها التقرير . وكشفت صحيفة (هآرتس) الاسرائيلية بتاريخ 20/8/2018، في تقرير لها، عن ارتفاع حاد في طلب العلاج والاستشارات النفسية، بين صفوف جنود الجيش الإسرائيلي . وبحسب الصحيفة أظهر التقرير ارتفاعا في عدد توجهات الجنود في الخدمة الإجبارية بالجيش الإسرائيلي، للحصول على استشارة طبية نفسية، حيث سجل ارتفاعا بنسبة 40% منذ عام 2010 ووفقا لمعطيات التقرير، الذي يعتمد على بيانات رسمية من أرشيف الجيش الإسرائيلي، فإنه بالعامين الماضيين أجريت 47 ألف جلسة علاج واستشاره نفسية، لجنود لدى طاقم الموظفين بالصحة النفسية، بينما بين العامين 2013 إلى 2015، أجريت قرابة 44500 جلسة علاجية سنويا، بحسب ما جاء على موقع (عكا).

وأوضحت الصحيفة، أن الارتفاع الملحوظ بالتوجه للعلاج النفسي بصفوف الجنود، سيؤدي إلى استنزاف طاقات وقدرات المعالجين النفسيين بالجيش، ومن شأنه أن يؤدي إلى عدم القدرة على احتواء هذه الشريحة المتزايدة من الجنود . وبينت الصحيفة أن الغالبية العظمى من الجنود الذين توجهوا للحصول على الاستشارة النفسية يخدمون في الوحدات القتالية الميدانية . وأشارت (هآرتس)، إلى أن أحد أسباب الارتفاع في التوجهات للحصول على العلاج النفسي، هي ظاهرة التهرب من الخدمة العسكرية الإجبارية، بحيث يعتمد الجيش الإسرائيلي، الأسباب النفسية، كشرط للإعفاء من الخدمة العسكرية الإجبارية .

4 - المقاومة تستفيد من الظاهرة:

تثير "الحرب النفسية" التي يستمر سماحة السيد حسن نصر الله، الأمين العام لحزب الله، بقيادتها من خلال إطلاقاته التلفزيونية المتكررة والمتوالية، جملة واسعة من ردود الفعل وموجات القلق في الأوساط الإسرائيلية، بعضها يعكس ذعراً مرضياً على غير صعيد . فالمرقبون الإسرائيليون قالوا إنَّ السيد نصر الله أجاد في خطاباته بتشخيص المشكلة النفس معنوية التي يعاني منها جنود الجيش الإسرائيلي . وفي هذا المجال قال مراسل الشؤون العسكرية في قناة "كان" الإسرائيلية روعيه شارون، أن "نصر الله يلخص تقرير ضابط الشكاوى وكذلك تقرير القوة البشرية لدى الجيش الاسرائيلي، حيث يشير إلى أن الكثير من الجنود يعانون من مشاكل نفسية وهو في ذلك يركز إلى ما نشر في وسائل إعلام إسرائيلية . "فصحيفة

"يديعوت أحرونوت" ركزت على ما قاله السيد حيال الصعوبة التي تواجهها إسرائيل في تجنيد الإسرائيليين في الوحدات القتالية الميدانية. أما القناة 12 الإسرائيلية فتطرقت إلى أنّ "إسرائيل غارقة في عقلية الهزيمة".

ومن جملة الأمور التي استدعت ردوداً إسرائيلية خائفة على المستويات السياسية والعسكرية والإعلامية، ما قاله السيد نصر الله عن أنّ المقاومة اليوم باتت أقوى من الجيش الإسرائيلي. هذه المستويات لها باع طويل مع مواقف الأمين العام لحزب الله لا سيما في حرب تموز 2006، وتدرك أنّ المقصود من السيد نصر الله شد عصب بيئته المقاومة من جهة، وإدارة حرب نفسية ضد "إسرائيل" أثبتت نجاعتها في أكثر من مواجهة، بعد أن ثبت فيها أنه لا يديرها من فراغ.

ورأى بعض الباحثين اللبنانيين أنّ "أهمية الحرب النفسية عند حزب الله هي أنها مسنودة إلى نجاحات عسكرية حقيقية، بمعنى أنها ليست موضوع بالمعنى التطويري فقط. بل هناك نجاحات يدرکها الإسرائيلي تماماً. وحزب الله يعتمد أسلوب الحرب النفسية ودائماً يعتمد الغموض بشأن ترسانته من الأسلحة. ويعترف المعلقون الإسرائيليون بأن إسرائيل لم تعرف قط أي قائد عربي وصل إلى مستوى معرفة العدو، كما وصل إليه السيد نصر الله. بحيث أنه كشف نقاط الضعف الإسرائيلية من أفواه وأبحاث إسرائيلية من داخل المجتمع الإسرائيلي ومن داخل المؤسسة العسكرية الإسرائيلية نفسها. وكان يكفي لسماحة الأمين العام أن يقول على الملأ بأن "المقاومة أقوى من الجيش الإسرائيلي"، ليستتفر إعلام العدو الإسرائيلي والقادة العسكريين بأجمعهم. ولا شك بأنه نجح منذ حرب تموز 2006 في فرض معادلة الحرب النفسية وتوازن الردع مع إسرائيل، والاعتماد على الشق النفسي لدى الحزب لم يقتصر على الكلام، إنما اقترن بالوقائع. ففي حرب تموز، فرض السيد نصر الله معادلة "ما بعد بعد حيفا" إثر قصفه البارحة ساعر. واعتبر الدكتور (والعميد في الاحتياط) (شمعون شابييرا، المعتبر الخبير رقم واحد في إسرائيل في شؤون حزب الله وإيران، أنه: "توجد هنا فجوة أساسية بين نظرتين للحياة. نظرة حزب الله التي تقدّس الموت وترى فيه قيمة عليا. ومن أجل ذلك يقيم حزب الله جهازاً يعتني بفضائل النفس ويضم الشهداء وعائلاتهم، ويعد شهداءه بجنة النعيم، وفي المقابل يوجد المجتمع الإسرائيلي الذي يقدّس الحياة ويرى في كلّ قتيل كمن يموت عبثاً." وأضاف: "إن إسرائيل تتعذب وتبكي قتلها بعويل ونحيب. والمجتمع الإسرائيلي غير مستعد للمواجهة أكثر

مع نزع الدم المستمر في لبنان. وهذا الموقف فهمه حزب الله وعزز لديه الرغبة بالاستمرار في ضربه المجتمع الإسرائيلي. "ويضيف شابيرا قائلاً: لقد أدرك حسن نصر الله أن الشباب الإسرائيلي اليوم يسعى إلى التمتع بملذات الحياة وهو ليس على استعداد للتضحية بنفسه من أجل إسرائيل الكبرى. هذا هو جوهر الثقافة السائدة لديهم. وهذا بحد ذاته تحول ثقافي هام نوعي واستراتيجي". "ويعلق شابيرا أيضاً فيقول: "جاءت أقوال نصر الله هذه قبل ثلاث سنوات. وتجدر الإشارة إلى أن حزب الله مدرك جيداً لمجريات الأمور والأحداث في إسرائيل، أي يمكن القول أنه يتخذ إجراءاته وفق اعتبارات واقعية."

5 - المغازي العسكرية للهبوط النفسي:

يخيم على المجتمع اليهودي في إسرائيل شعور عميق بعدم الأمن والحصار ضمن تربة لا جذور له فيها، ومحيط هم غرباء عنه، يتربص به الدوائر وينتظر الفرصة المناسبة "لإلقائه في البحر" بحسب إشاعات الاعلام الصهيوني. وفي الوقت نفسه تستدعي عمليات الغزو والاحتلال اليهودي والقتل والقهر والتشريد، ضد الشعوب العربية المجاورة لكيان العدو، حالة من الاستنفار والتهيؤ للرد. وفي هذا المجال يقول الجنرال الراحل موشيه ديان " لقد جننا إلى أرض مسكونة وفيها بنينا دولة يهودية، والعرب لا يطيقون ما قمنا به ولهذا فإنهم محكومون بحالة دائمة من العدا...إننا قلب مزروع في جسم ترفضه بقية الأعضاء". "في المقابل يدرك الاسرائيليون مقدار الخطورة لعملية استعمارهم واحتلالهم لفلسطين وسائر الأراضي العربية في لبنان وسوريا. وهم يعيشون بالتالي في ظل مخاوف تجربة الصليبيين، خاصة وأن الأرض التي استعمروها تقع ضمن بيئة تتوفر لها كل مقومات التعاون والتكامل الحقيقيين. فإذا ما عمل الفلسطينيون والعرب بالأسلوب الجاد والصادق لتحقيق ذاتهم فلا بدّ عندئذ من أن تطرح التساؤلات الحقيقية حول مصير هذا الكيان الطارئ والغاصب وشروطه التعجيزية. وإن مثل هذا الإدراك يقض مضاجع اليهود في الأراضي المحتلة ويتركهم نهباً لقلق وخوف نفسي دائمين من مستقبل مجهول يولد لديهم شعوراً بعدم الاستقرار وفقدان الأمن وحالة من الاستنفار والعداء الدائم نحو الآخر الموجود أمامهم بالرغم من محاولات تخفيف حقه في الحياة والوجود.

لقد حرص القادة اليهود على تدريس أجيالهم تاريخ القهر والعذاب "اليهودي" في اسبانيا وروسيا القيصرية والمانيا النازية من أجل إغناء خيالهم العسكري بصور فرق الإعدام والإرهاب وشبح الإبادة الجماعية وعقدة الفناء، ممّا شحن وجدانهم ومشاعرهم الباطنية بشحنة عاطفية عدوانية جارفة تسيطر عليهم، وأصبحوا مستعدّين للتنشئة العسكرية القاسية ولممارسة كل أشكال القتل الوحشي الدموي والسادية المرضية التي تصاحب بشكل دائم مختلف أساليب العنف اليهودي النابع من خوف عصابي مزمن.

إن التركيز الدائم على الخطر الخارجي، وعلى ما قد يقدم عليه المقاومون العرب تجاه اليهود في اسرائيل، قد وجد لدى المجتمع الاسرائيلي مجموعة من القيم العدوانية العسكرية التي هيمنت على جميع قطاعات المجتمع الاسرائيلي وجعلت جميع علاقاته الاجتماعية والانسانية قائمة على الشعور بالقلق وعدم الاستقرار وتوقع الخطر والحرب في أية لحظة. وفي هذا السياق يقول آرثر روبين: "لقد حكم علينا أن نعيش في حالة حرب دائمة مع العرب وليس هناك من وسيلة لتجنب التضحيات الدامية". كما يقول موشيه دايان: "نحن جيل من المستوطنين، لا نستطيع غرس شجرة أو بناء بيت من دون الخوذة الفولاذية والمدفع. علينا ألاّ نغمض عيوننا عن الحقد المشتعل في أفئدة مئات الألوف من العرب حولنا. علينا ألاّ ندير رؤوسنا حتى لا ترتعش أيدينا، إنه قدر جيلنا، إنه خيار جيلنا أن نكون مستعدين مسلحين، أن نكون أقوياء وقساء حتى لا يقع السيف من قبضتنا وتنتهي الحياة."

من ضمن هذه البيئة النفسية والعقائدية نشأت لدى المفكرين الاسرائيليين سلسلة من الثوابت الوجدانية اعتبرت على أنها بمثابة حقائق قاسية تؤرق زعماء الصهيونية وحكام اسرائيل، وهي حقائق مستقرة وكامنة في العقل الباطني بحيث لا يمكن تناسيها وهي كالآتي:

1 — أن إسرائيل دولة صغيرة في مساحتها ومواردها البشرية، ذات عمق جيوسراتيجي بسيط، حدودها طويلة، ويحيط بها العرب من جهات ثلاث، يزدحم سكانها في سهل ساحلي في منطقتين رئيسيتين يفصل بينهما ممرّ ضيق لا يتجاوز عمقه خمسة عشر كيلومتراً عند قفيلية وطولكرم في الضفة الغربية.

2— أن الزمن يمكن أن يعمل في مصلحة العرب في المواد المادية والبشرية.

3— أن الحرب الطويلة تستنزف موارد إسرائيل وبخاصة البشرية كما أن الهزيمة تعني "إبادة قومية" بحسب تعبير يغال ألون.

هذه المعطيات الجيوستراتيجية وهذه الهواجس النفسية الدفينة أدت إلى نشوء نظريات أمنية وعسكرية تتناسب مع فحواها. فما هي هذه النظريات في خطوطها وخلفياتها الأساسية؟

6- المعطى الأمني من خلال المعطى النفسي:

كان موضوع الأمن بالنسبة للإسرائيليين بمثابة الشغل الشاغل ومحور التفكير الأساسي لكبار القادة والمنظرين. وقد قال ديفيد بن غوريون منذ نهاية الأربعينات: "إن مشكلة أمن إسرائيل تختلف كل الاختلاف عنها في أي بلد آخر. إنها ليست مشكلة حدود أو سيادة، بل تتناول البقاء على قيد الحياة... إن مشكلة أمن إسرائيل تعادل بالتالي مشكلة بقاء الشعب اليهودي بأكمله"، ثم يضيف: "فالمشكلة الفلسطينية لا يمكن أن تحل إلا بالحرب وخلال الحرب سيتم تقرير مصير إسرائيل كدولة. فإما أن تزول وإما أن تبقى. ولكي ننتصر في الحرب يجب أن نتفوق على البلاد العربية تفوقاً عسكرياً ساحقاً".

ويرى المفكر والوزير الأسبق يغال ألون أنه لا يمكن لإسرائيل أن تحصل على الأمن وتحافظ عليه إلا ببقائها متفوقة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً على البلاد المحيطة. ويعرّف الحدود الآمنة فيقول: "هي حدود سياسية ترتكز على عمق إقليمي وموانع طبيعية كمجاري المياه والجبّال والصحراء والممرات الضيقة لمنع تقدّم الجيوش البرية والميكانيكية". ولقد قضت التطوّرات الدراماتيكية التي حصلت ما بين إسرائيل والدول المجاورة لها على أهم عناصر نظرية الأمن الاسرائيلية الأنفة الذكر وخاصة منذ تدمير خط بارليف على الجبهة المصرية عام 1973 واختراق جدران التحصينات الهائلة التي كانت منصوبة في الجولان ومن ثم سقوط نظريات الأمن الاستراتيجي الاقليمي التي خطّ لها ونفّذها كلّ من رئيس الوزراء الأسبق مناحيم بيغن ووزير دفاعه أرييل شارون ورئيس أركان جيشه رفائيل ايتان، أثناء الغزو الإجرامي للبنان عام 1982 بفضل قيام المقاومة المسلّحة المخلصة والفاعلة التي عطّلت ونسفت أهم بنود المخطّط الاستراتيجي الصهيوني الخاص بالهيمنة والتوسّع على حساب كلّ من لبنان وسوريا وفلسطين. وقد تمكّنت هذه المقاومة ليس فقط أن تحبط الشقّ التأمري الصهيوني المتعلّق بلبنان والذي كان يقضي بتقسيم الوطن إلى محمية أمنية في الجنوب وإلى دويلة تابعة في الشمال تحت أوام الفتنة "الحضارية" بين أفراد الشعب الواحد، واتفاق 17 أيار كان مجرد نموذج أوّلي لهذه الفتنة، بل إنّها ردّت كيد الصهاينة إلى نحرهم، وحرّرت

الوطن، وصدّرت عوامل الفتنة والخوف إلى داخل المجتمع الإسرائيلي نفسه، فذاقت إسرائيل في يوم المقاومة والتحرير كلّ أشكال المذلة والانهيار المعنوي حتى أن الصحافة الإسرائيلية نفسها وصفت حالة الجيش الإسرائيلي المدحور بحالة الكلب المدعور وذيله بين ساقيه ساحباً معه فلول مشروع الفتنة الطائفية الذي كان مفصلاً خصيصاً على قياس التصورات الصهيونية المغلوطة عن لبنان وشعبه.

وقد كتبت صحيفة هآرتس في هذا المجال أن رئيس الأركان شأول موفاز الذي ظنّ بأنه سيكون رئيس أركان السلام للجليل اكتشف بأنه أصبح "رئيس أركان الذلّ. فهو تكلم عن إعادة انتشار وحصل على انهيار عوضاً عن ذلك". وكتبت صحيفة يديعوت احرونوت أيضاً: "كلّ أولئك الذين يحتاجون إلى برهان حصلوا عليه: الجيش الإسرائيلي لم يقرأ الأحداث في جنوب لبنان. لكن الأحداث هي التي قادته، ويعترف رئيس الأركان بأن قوافل المدنيين وحزب الله التي جابت القطاع الأوسط شكّلت مفاجأة تامّة. وخلال أقل من 24 ساعة من قيام قائد الجبهة الشمالية واللواء غابي اشكنازي بوصف "الجيش الجنوبي" في القطاع الشرقي بأنه — مستقرّ ويؤدّي دوره — تحوّلت هذه القوّة إلى شيء من التاريخ

لقد استخلص رئيس الأركان السابق للجيش الإسرائيلي، والوزير الأسبق في حكومة باراك، الجنرال في الاحتياط امنون شاحاك في مقابلة أجرتها معه صحيفة معاريف "أن شيئاً ما قد حصل للمجتمع الإسرائيلي بأسره، فكلّ من يحاول فصل الجيش عن المجتمع يرتكب خطأً وحينما يصل الجنود إلى بيوتهم ويسمعون الأمّهات فإن هذا يؤثّر عليهم. بل يجب أن يؤثّر عليهم". "ويضيف": لقد ضعفت قوّة صمودنا. وهناك من يصف مثل هذه التعبيرات بأنها انفتاح وأنا لم يعجبني أبداً جزء من هذه الألفاظ والأقوال على الأقلّ."

أمّا الباحث آرييه أوسوليفان فرأى أن الجيش الإسرائيلي إنما يختصر ويلخص روح المجتمع الإسرائيلي المنهك في الوقت الراهن "وهو المجتمع الذي نال منه التعب وتميّز بالفردية حيث يزكي كلّ انسان نفسه ويفرح بها، بينما القدرة على الصبر وتحمل الآلام آخذة في الانحدار والانحسار". وينقل أوسوليفان عن أحد كبار الضباط الاسرائيليين في قسم التخطيط العقائدي قوله: "إننا مدللون. إن إسرائيل تفقد قدرتها على تحملّ الخسائر."

وأورد البروفسور مارتن فان كريفالدي في كتابه النقدي لتاريخ الجيش الإسرائيلي "السيف والزيتونة The Sword and the olive: لقد قدّمت حرب الخليج أوّل تحذير واضح بأن الشعب الإسرائيلي يفقد الشجاعة

في مواجهة الخصم ويتحوّل إلى أمة من الجبناء لم يعد لديها ما يعينها على المجادلة والقتال. "وكذلك أورد الدكتور غال، كبير الأطباء النفسيين في الجيش الإسرائيلي سابقاً، ومؤلف كتاب صورة الجندي الاسرائيلي The portrait of th israeli Soldier قوله: "أعتقد أن الطريقة ذاتها التي مجّدت بها وسائل الإعلام جنود حرب 1967 تستخدم في الوقت الراهن لإلحاق العار بجنود سنة 2000 باعتبارهم بكّائين. "أمّا قائد المنطقة الشمالية الأسبق اللواء غابي اشكنازي، فوصف الجنود الصهاينة الذين عبّروا عن آراء انهزامية خلال شهادات أدلوا بها للإذاعة الاسرائيلية حول وجودهم في لبنان بأنهم "مماسح". "وقد اتفق كلّ من مدير مركز بيغن – السادات للدراسات الاستراتيجية، افرايم انبار والعقيد في الاحتياط يعقوب حسداي، على أن ما حصل في لبنان من فشل عسكري ومعنوي إسرائيلي إنما يحتمّ على إسرائيل أن تعيد النظر في كامل روزنامتها الدفاعية والأمنية وخاصة في ما يتعلّق بالمتغيّرات الثقافية والمعنوية والنفسية التي تجتاح المجتمع الاسرائيلي بأكمله. واعتبر أنبار أن "التحدي الأهم أمامنا قد يكون تعزيز الإرادة الوطنية للقتال". أما العقيد حسداي، فرأى أن هذه المتغيرات هي "ذات أهمية حاسمة وخطيرة. فالمجتمع الاسرائيلي ليس مهيباً لمناقشة المسائل الأمنية في صلب الموضوع، لأن هذه المسائل تحوّلت إلى جزء من المعركة الانتخابية وإلى موضوع لم يعد يستطيع فيه القادة دعوة الشعب إلى التضحية وبذل الجهد، في وقت هم ملزمون بتقديم امتيازات وحلول للجمهور. ولهذا كان قرار الخروج من لبنان قراراً ذا شعبية وأنا أؤيّد". ولفت حسداي إلى أن موضوع الانسحاب من لبنان كان ذا شعبية أيضاً منذ عام 1985 واستخدم في حينه كعنوان جدّاب في المعركة الانتخابية في ظلّ شعارات وتحركات منظمة "أمّهات ضد الصّمت" التي سبقت ظهور حركة "الأمّهات الأربع" في ما بعد. ومعلوم أن إيهود باراك كان منذ ذلك الحين من المؤيدين لانسحاب كامل لجيش الاحتلال من الأراضي اللبنانية واعتماد استراتيجية ردعية ودفاعية من داخل الحدود الدولية. وشرح العقيد حسداي الأوضاع النفسية المتداعية التي أدّت برابين في حينه إلى اتخاذ قرار الانكفاء الأوّل عام 1985 بقوله: "إذا سألتني لماذا قرّر رابين الخروج من لبنان فأقول إنه قرّر ذلك بسبب الضغط الشعبي والإحساس الكبير بالضيق. أمّا لماذا هذا الضغط وهذا الإحساس بالضيق فأقول إننا هنا نصل إلى أساس المجتمع الاسرائيلي، هذا المجتمع المأزوم الذي لم يعد يثق بقيادته، ولم يعد لديه قيادة يستطيع دعوتها لبذل الجهد والتضحية. هذا هو أساس المشكلة والخروج من لبنان مرتبط بهذا تماماً."

وربط الباحث ألون بن دافيد، التدايعات النفسية في المجتمع والجيش الاسرائيليين بكثرة الضحايا التي سقطت في حرب لبنان وانسداد الافق السياسي وعبثية الحرب فقال " :على خلفية كارثة المروحيتين (سقطت نتائجها 76 ضابطاً وعسكرياً) (وتزايد العمليات النوعية) للمقاومة (زادت عملية الاحتجاج ومزقت الإجماع الوطني فسجّل حزب الله هذا الإنجاز لنفسه . "واعتراف أن الحركات الاحتجاجية والاعتصامات ساعدت في الانهيار المعنوي والنفسي للجيش . وأكد الدكتور شاؤول من منظمة "خط أحمر" على خسارة إسرائيل الحرب النفسية فقال: "لقد امتاز حزب الله ليس فقط بالرّماة والقناصين وإنما أيضاً في مجال الحرب النفسيّة مستخدماً الأقنية التلفزيونية ومحطّات الإذاعة وشبكات الانترنت الدقيقة بلغتين وربّما قريباً باللغة العبرية، بينما كان من يجب أن يمتاز في هذا المجال هو الجيش الإسرائيلي الخاص بدولة تكنولوجية مثل اسرائيل". وأضاف: "نحن أقوى جيش، ونحن الدولة الذرية الخامسة في العالم وفي الوقت نفسه نحن هناك مهزومون أمام مجموعة من الفلاحين الذين يضعون العصائب على جباههم؛ هذا أمر غير معقول."

ووصف العقيد حسداي العلاقة التبادلية ما بين الجيش والمجتمع في اسرائيل بأنها مثل علاقة الانسان الذي يتعرض لخلية من النحل " :النحلة الواحدة لا تقتل الانسان ولكن خلية من النحل قد تقتله " ، أي بمعنى أن كثرة الانتقادات من قبل المجتمعين المدني والعسكري من شأنها أن تفعل فعلها الوجداني والمعنوي . وقال : "إنّ لبنان يتسبّب بصورة متواصلة في تآكل الثقة بالنفس لدى مواطني اسرائيل وهذا بالمفهوم الاستراتيجي يشكّل خطراً لا يقل عن خطر الحرب الشاملة."

لقد وصف عضو الكنيست أفيغدور ليبرمان، قائد حزب "اسرائيل بيتنا"، التدايعات النفسية والعسكرية في إسرائيل بقوله " :إنّ قوّة الدولة وقدرتها لا تقاس فقط بقدراتها العسكرية . فالاتحاد السوفياتي لم يتفكك لأنّ الجيش الأحمر كان صغيراً . والمانيا الشرقية لم تسقط لأنّ أجهزتها الأمنية كانت ضعيفة وغير ناجحة، إذ أن جهاز (الستازي) (كان جهازاً فعّالاً قوياً وكذلك) (سكوريباريا) (في رومانيا كان جهازاً دموياً فظيماً ولكنه لم يساعد في أي شيء . لقد سقطت جميعها . من هنا فإنّ التصدّعات الاجتماعية والفجوات النفسية والتناقضات وسط الجمهور وعدم ثقة الشعب بزعامته وقيادته، هذا كلّه أدّى إلى الانهيار الكبير . أي أنه من المستحيل القول طيلة الوقت بأن جيش الدفاع قوي، وندفن رؤوسنا في الرّمال."

هكذا إذن وصل الاسرائيليون إلى الباب المسدود في مسار استخدامهم الإجرامي لقواهم العسكرية ضد العرب عموماً واللبنانيين والفلسطينيين خصوصاً فألجأتهم خيبة الأمل إلى الاستغاثة بوسائل الضغط الدبلوماسي كمخرج لمأزقهم المتفاقم من باب العجز لا من باب خيار السلام الصادق والحقيقي.

7 - خاتمة :

أعطى المؤرخ الإسرائيلي توم سيغيف، المعروف بنظرته النقدية والموضوعية الثابتة تشخيصاً لمرض إسرائيل النفسي الاستراتيجي الذي نحن بصدد البحث فيه، فهو قد شخّص هذا المرض بأنه يعود إلى ما تخلقه إسرائيل لنفسها بنفسها من مخاوف وأهوال عندما تصنع بأيديها الملطخة بدماء الأبرياء كوابيس الرعب والمذلة لشعبها من خلال سياسات القمع والاضطهاد والتوسع على حساب الأغيار "غوييم". ولقد رد سيغيف على صحيفة يديعوت أحرونوت التي وصفت الاندحار الإسرائيلي عن الأراضي اللبنانية المحتلة عام 2000 بأنه "يوم المذلة" وعلى عضو الكنيست منير شطريت من الليكود الذي قال إنها المرة الثانية التي يخجل فيها من كونه إسرائيلياً، بعدما شعر بذلك للمرة الأولى عندما اغتيل اسحق رابين، فقال: "إن شطريت لم يشعر بالعار على ما يبدو ويديعوت احرونوت لم تشعر بالذل أيضاً عندما أقامت إسرائيل نظاماً دكتاتورياً عسكرياً في جنوب لبنان قائماً على الابتزاز والتتكيل، وأنشأت معتقلاً هو بحسب ممثلي حقوق الإنسان الأكثر ترويعاً في كل المنطقة..."

هكذا إذاً ينطبق على إسرائيل قول المثل أنه من يزرع الرياح لا يحصد إلا العاصفة، ونقطة الإعاقه في مشروع "السلام" العربي الإسرائيلي لا تكمن في قلة السخاء العربي المتهم في الأصل بالهرولة والإسراف، بل في عامل الطمع وروح العدوان الصهيونية التي تتجلى في تصريحات ومواقف لا تعدّ ولا تحصى لكبار المسؤولين، كمثل قول رئيسة الحكومة الاسرائيلية الراحلة غولدا مئير بأن حدود إسرائيل هي عند آخر دبابة وجندي اسرائيلي وأن هذه الحدود مثلها مثل جلد الغزال يتمدد ويتوسّع كلما ازداد الغزال صحة وعافية وقوة.

إن الخلاصة الأساس والاستنتاج الأهم للذين يمكننا الخروج بهما بعد هذا البحث المسهب في تأثيرات فقدان إسرائيل عمقها الاستراتيجي النفسي يكمنان في ضرورة أن ننظر بطريفة مغايرة إلى عوامل القوة

والضعف عندنا وعند العدو .وعلينا أن نضع النصر الذي أحرزه لبنان مقاومةً وجيشاً وشعباً وحكومةً في إطاره العملائي والموضوعي الحقيقي من أجل إخراج الوطن والأمة مرةً وإلى الأبد من غيبوبة الاستكانة واستضعاف الذات والنزوع المرضي نحو الاستسلام وقبول الهزيمة .ولعلّ المسؤولين وكبار المفكرين والباحثين في إسرائيل قد بدأوا يتلمسون خطورة انبعاث روح التضحية والمقاومة المنظمة والمنضبطة لدى العرب، لا سيّما وأن الشباب الاسرائيلي قد فقد منذ وقت بعيد مثل هذه الروح .الأمر الذي عبّر عنه رئيس وزراء العدو الأسبق اسحق شامير بقوله " :لم يخطر ببالي أن أحيا إلى هذا اليوم الذي ترغم فيه دولة اسرائيل وجيشها الذي وصفه أعداؤنا وأصدقاؤنا بأنه الجيش الذي لا يقهر، على الفرار أمام طرف عربي . ما الذي حدث؟ كيف تجري الأمور على هذا النحو؟ !بضع مئات من مقاتلي حزب الله يجبرون الدولة الأقوى في الشرق الأوسط على الظهور بهذا الشكل الانهزامي .([40])"وأضاف شامير " :لقد أثبتنا للعرب دائماً أنه يجدر بهم ألا يحاولوا إرغامنا على تقديم تنازل لهم بالقوة لأنهم في النهاية هم الطرف الذي سيقدّم التنازل .لكنّ حزب الله أثبت أن هناك عرباً من نوع آخر."

لقد أصيب الاسرائيليون جميعاً بالهلع بعد اثنين وعشرين عاماً من المكابرة وتزوير الحقائق بسبب وجودهم العدواني في لبنان .واكتشفوا أخيراً أن الحرب الإجرامية المتعدّدة المراحل على هذا الوطن المسالم .إنما هي " حرب اختيار "أي من دون ضرورة حتمية لسنّها، واكتشف الشبان الاسرائيليون المغرّ بهم أن ثمة أمراً غير عادي مفروض عليهم، فبدأوا يفرّون من الخدمة بأعداد كبيرة لم تشهد لها اسرائيل مثيلاً في تاريخها .وانطلقت الحركات الاجتماعية البكائية تنذب الأبناء الذين ذهبوا ولن يعودوا أبداً، وتفتّشت في المجتمع الاسرائيلي حالة متصاعدة من نشدان اللذة الفردية والاستهلاك الشخصي والابتعاد عن إحياءات الايديولوجيا الصهيونية .ووصلت نسبة المعارضين البقاء في لبنان إلى معدلات قياسية تجاوزت 75%، وظهر الفرح واضحاً وصريحاً على وجوه الجنود المنسحبين خاصة لدى إقفال ما كان يسمّى بوابة "الجدار الطيب" على الرغم من عناوين بعض الصحف الاسرائيلية التي سمّت يوم الانسحاب بيوم المهانة والمذلة . ومع ذلك فقد برزت عناوين صحافية أخرى تقول " :يا أمي ها قد عدنا أحياء إلى البيت!!"

لقد طالب بعض كبار قادة الجيش الاسرائيلي بمحاكمة الجنود الفرحين، ولكن مثل هذه المحاكمة لم تحصل ولن تحصل لأنّ المجتمع المسكون بروح اليأس والخيبة كفيل بحماية أولئك الجنود وتبرير فرحهم المر.

إن الخلاصة الأساس والاستنتاج الأهم للذين يمكننا الخروج بهما بعد هذا البحث المسهب في تأثيرات فقدان إسرائيل عمقها الاستراتيجي النفسي يكمنان في ضرورة أن ننظر بطريقة مغايرة إلى عوامل القوة والضعف عندنا وعند العدو .وعلينا أن نضع النصر الذي أحرزته المقاومة في لبنان وفلسطين في إطاره العملائي والموضوعي الحقيقي من أجل إخراج الأوطان والأمة مرّة وإلى الأبد من غيبوبة الاستكانة واستضعاف الذات والنزوع المرضي نحو الاستسلام وقبول الهزيمة .ولعلّ المسؤولين وكبار المفكرين والباحثين في إسرائيل قد بدأوا يتلمّسون خطورة انبعاث روح التضحية والمقاومة المنظمة والمنضبطة لدى العرب، لا سيّما وأن الشباب الإسرائيلي قد فقد منذ وقت بعيد مثل هذه الروح .الأمر الذي عبّر عنه رئيس وزراء العدو الأسبق اسحق شامير بقوله " :لم يخطر ببالي أن أحيا إلى هذا اليوم الذي ترغم فيه دولة إسرائيل وجيشها الذي وصفه أعداؤنا وأصدقاؤنا بأنه الجيش الذي لا يقهر، على الفرار أمام طرف عربي . ما الذي حدث؟ كيف تجري الأمور على هذا النحو؟ !بضع مئات من مقاتلي حزب الله يجبرون الدولة الأقوى في الشرق الأوسط على الظهور بهذا الشكل الانهزامي . "وأضاف شامير " :لقد أثبتنا للعرب دائماً أنه يجدر بهم ألا يحاولوا ارغامنا على تقديم تنازل لهم بالقوة لأنهم في النهاية هم الطرف الذي سيقدم التنازل .لكنّ حزب الله أثبت أن هناك عرباً من نوع آخر."